الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

ملحقة مغنية -تلمسان-

شعبة الأدب العربي

مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس

في الأدب العربي

مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الاجتماعي

إعداد الطّالبة:

شتّي غانية

تحت إشراف الأستاذة:

أسماء بلعربي

الموسم الجامعي: 2014/2013 - 1435/1434

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللّهم ارزقنا رضا النفس... وزكاة الروح... وزينة العقل... وطهارة القلب...

وقوّة البدن... واجعلنا ممّن تزوّدوا بالتقوى... وفازوا بالنجوى... وتزيّنوا بالدّعوة...

نسألك التوفيق والهداية... والرّشد والإعانة... والرّضا والصّيانة... والحبّ والإنابة...

والدّعاء والإجابة... وارزقنا نوراً في القلب... وزينة في الوجه... وقوّة في العمل...

ونعوذ بك من سوء الأسراض... وشتات الأغراض... وهتك الأعراض...

ونعوذ بك من الفسوق والعصيان... والفجور والبهتان... واليأس والنسيان... والمنع والحرمان... والذّلّ والطغيان...

اللّهم قنا شرّ الإنس والجان... هب لنا حقيقة الإيمان... كما نسألك فرجا قريبا... وصبرا جميلا...

وشكرا كثيرا... وذكرا طويلا... ورزقا وفيرا... برحمتك يا أرحم الراحمين

اللّهم إنّا نسألك الجنّة وما قرب إليها من قول أو عمل...

ونعوذ بك من النّار وما قرب إليها من قول أو عمل... ونسألك ما قضيت لنا من قضاء أن تجعل عاقبته رشدا.

اللّهم نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوّله وآخره وظاهره وباطنه.

اللّهم أنت المستعان وعليك البلاغ

ولا حول ولا قوّة إلاّ بك.

تشكرات

قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾

وقال أيضا: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

-صدق الله العظيم-

فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمدا كثيرا طيّبا يوافي نعمه

ويكافئ مزيده لما وفقني إليه من إتمام هذا العمل وبلوغ هذه الدرجة، فكل من فضله

وجوده وكرمه.ثمّ أتوجّه بالشّكر إلى الأستاذة المشرفة -أسماء بلهبري-

على توجيهاتها ونصائحها التي أنارت لي دروب هذا البحث،

راجية من المولى القدير أن يُجازيها عنّي خير الجزاء، وأن يُديم عطاءها.

وكذا الشكر إلى الأستاذ ة المناقشة- جوادي - التي شرّفتني بقبولها تحمّل عناء ومناقشة هذه المذكرة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال في حقّهما عزّ وجلّ:

﴿وَلاَ تقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾

إلى من حملتني وَهْناً على وَهْن

إلى التي لَمْلَمَت روح الحياة وأنا في أحشائها

إلى النّبع الذي من فيض الحنان سقاني

"أمي العزيزة".

إلى من هوّن الصّعاب أمامي وكان السّبب في حياتي

إلى من تحمّل أعباء الحياة حتى يراني على ما أنا عليه اليوم

إلى الذي أشعر بقربه وهو بعيد

إلى أجمل وأروع أب

"أبي العزيز".

إلى إختيّ العزيزتين: "عمارة وفاطمة"

إلى أخوتي: "بن أعمر، وليد"

إلى الصديقات الواصلات بالمحبة والمودّة اللّواتي سكنّ بيتاً من قلبي: "وفاء، حنان، بسمة، رزيقة وعمارة".

وإلى كل الأصدقاء والأحبّة والخلاّن

إلى كل من تشوّق لرؤية ثمرة جهد طويل.

©Magic Cartes / Rainbow Coffi

المقدمة

الصّلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

إن البحث في القضايا الاجتماعية بحث متأصل الجذور، يقوي الإيمان متى حسنت النّوايا، والبحث والتّنقيب فطري في الإنسان يجعله دائما يصبو إلى الحقيقة.

ومن بين المواضيع الاجتماعية التي أثارت الجدل واختلف فيه العلماء المسلمون قضية "الإصلاح" إذ كان العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر قد بلغ من التّدني والانحطاط أعظم درجة حيث انتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشي ما كان باقيا من آثار التّهذيب العربي، أمّا الدّين فقد غشيته غاشية سوداء وكثر عديد أدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فيه أعناقهم التمائم والتمائم والتعاويذ والسبحات يوهمون الناس بالباطل والشبهات.

وإذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي فإننا نجده حافلا بالجهود والمحاولات في ميدان الإصلاح والتجديد كما التغيير الجذري.

ومن بين العلماء الذين كان لهم إسهام في دراسة الحركة الإصلاحية فقيه الحضارة الأستاذ "مالك بن نبي" –رحمه الله– فما هي نظرة "مالك بن نبي" للإصلاح الاجتماعي؟ وما هي جهوده الفكرية من الحركة الإصلاحية؟ هل نعتبر مشروعه داخل مشاريع رجال الإصلاح أم أنّه مرحلة من مراحل الحركة الإصلاحية ورؤية مغايرة خضعت لغير الظروف التي حدّدت قسمات الحركة الإصلاحية؟

هذا ما جعلني أسلك هذا الطريق رغبة في كشف الغطاء على خبايا التخلّف وأسبابه، والخوض في إيجاد الحلول، وذلك من خلال المنهج المعتمد في فكر "مالك بن نبي" ورؤيته للإصلاح الاجتماعي؛ فارتأيت بعدما ألممت بجوانب هذا الموضوع أن أقسّمه إلى مدخل وفصلين وخاتمة.

أمّا المدخل فقد تعرّضت من خلاله إلى ضبط **مفاهيم الإصلاح** بصفة عامة من حيث اللغة والاصطلاح.

وفي الفصل الأوّل تطرّقت إلى **نبذة عن حياة الفقيه ونشأته وعلمه**، فتحدّثت عن أهمّ المراحل التي مرّ بها خلال دراساته أثناء طفولته وعندما كان طالباً، فقسّمت الفصل إلى ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأوّل: حياته، تربيته وعلمه.**
- **المبحث الثّاني: مصادره الفكريّة.**
- **المبحث الثّالث: أعماله، مؤلّفاته وأقوال العلماء عنه.**

أمّا الفصل الثّاني والأخير فقد عالجتُ من خلاله الإصلاح الاجتماعي عند "**مالك بن نبي**"، فقسّمته إلى مبحثين أيضاً:

- **المبحث الأوّل: رؤيته للإصلاح الاجتماعي.**
- **المبحث الثّاني: مظاهر الإصلاح في فكره ونشاطه:**
- **الحضارة، الثّقافة، المرأة.**

وجاءت خاتمة هذا البحث عبارة عن أهمّ النّتائج المتوصّل إليها وهي حوصلة الفصلين، وقد فرض عليَّ موضوع بحثي هذا الاعتماد على مصادر ومراجع محضة، معظمها من تأليف صاحبها "**مالك بن نبي**"، والتي وضعها تحت عنوان واحد وهو: "**مشكلات الحضارة**"، ونسأل الله النّفع والانتفاع بهذا العمل الخالص.

إن حالة الشرق العقلية والاجتماعية والسياسية في القرن 18 قد بلغت القمة من التأخر والانحطاط، وسبب ذلك الجهل وعيش البلدان الإسلامية في الأوهام والخرافات وقد غشيت الدين غشية سوداء وغابت عن الناس فضائل القرآن، وانتشرت الرذائل مثل شرب الخمر، ولعل أسباب التخلف الرئيسية هو التخلف الفكري وتزمت رجال الدين والعلماء، وقد بذل المسلمون جهودا لإنقاذ ذلك وإصلاح وتغيير مناهج السير في المجتمع ومن بين العلماء المسلمين الذين اهتمّوا وانكبّوا على ذلك وسخّروا حياتهم في خدمة الدّين: "**جمال الدّين الأفغاني، محمد عبده، مالك بن نبي**" وغيرهم من الذين صاغوا فكرة الإصلاح على أنّها منهج ديني.

1- مفهوم الإصلاح:

مادة إصلاح مشتقة من الفعل: أَصْلَحَ، صَلُحَ، وصَلَّحَ، وتدل على تغيير حالة الفساد أي إزالة الفساد عن الشيء، ويقال أيضا: هذا يَصْلُحُ لك أي يوافقك ويحسن، ويقال أيضا: صَالِحٌ لكذا أي فيه أهلية للقيام به، وبصفة عامة الصَلاَحُ ضدّ الفساد.[1]

فمثلا الإصلاح الدّيني بمفهومه الواسع غالبا ما يتجسّم في ثورة، «ومن الناحية التّاريخية فالإصلاح الديني في أوروبا يوحي لنا بثورة دينية قامت في أوربا الغربية في القرن 16، وبدأت بشكل حركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية، ولكنّها تحولت إلى حركة عقائدية عرفت بالبروتاتستانية».[2]

2- معنى الاصلاح في القرآن الكريم:

1- لويس معلوف السيوعي، المنجد في اللغة والآداب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، 1927، ص 445.

2- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسّرة، دار القلم، القاهرة، 1965، ص 169.

أما بالنسبة للقرآن الكريم فعبارة الإصلاح تختلف حسب مقام الآية، وحسب التّفاسير، ونذكر على سبيل المثال بعض الآيات مع تفسيرها.

1- الآية 116 من سورة النّساء: «لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ معرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ»، والمقصود من الإصلاح بين الناس هو أيضا من الخير الذي قد يترتّب على إظهاره والتّحدث به أمام الملأ يعتبر شر كبير وضرر مستطير وينقلب الإصلاح فسادا.[1]

2- الآية 88 من سورة هود: «إِنْ أُرِيدَ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اِسْتَطَعْتَ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ مِنَ اللَّه»، والمعنى المقصود يدل على إرادة الإصلاح العام فيما أمر به الله سبحانه وتعالى وفيما نهت عنه ما دمت أستطيعه لأنّه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ليس لي هوى ومنفعة شخصية خاصة بي فيهما، ولا ذلك لما فعلته ولهذا يجب مراعاة حقوق ثلاثة أهمّها: حقّ الله تعالى، وثانيهما حقّ النفس، وثالثهما حقّ النّاس، وكلّ ذلك يقتضي آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عمّا ما نهيتكم عنه وما توفيقي إلاّ بالله.[2]

3- الآية 117 من سورة هود: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونْ»، والمعنى المقصود ما كان من شأن ربّك وسنّته في الإجماع البشري أن يهلك الأمم بظلم منهما في حال كون أهلها مصلحين في الأرض متجنين من للفساد والظلم، وإنّما أهلكم ويهلكهم بظلمهم وفسادهم فيها، والآية وجه وهو أنّه ليس من سنته تعالى أن يهلك القرى بظلم يقع فيها مع تفسير الظلم بالشّرك وأهلها.

---

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط 4، 1954، ص 407.

[2] – محمد رشيد رضا، المرجع نفسه، ص 145.

أما الإصلاح بالمعنى المقصود في هذا البحث فإنّه يدل على يقظة ووعي الشرق بالنسبة لأغلبية زعماء الإصلاح لأنّهم كانوا يشعرون بآلام شعوبهم ويدركون الأخطار المحيطة بهم، ويفكّرون بعمق في أسباب الدّاء وإيجاد الحلول.[1]

وفي الختام وقبل أن نتطرّق إلى مفهوم الإصلاح في رؤية "مالك بن نبي"، يمكن أن نقول أنّ فكرة الإصلاح فكرة نسبيّة وجليلة في حدّ ذاتها تختلف باختلاف الظّروف والعصور البيئات، فنرى في بعض الحالات أنّ فكرة الإصلاح تعتمد على الجانب الاجتماعي والأخلاقي، وهذا ما سنراه وأتطرّق إليه في فصولي اللاّحقة.

[1] – طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ط 2، 1992، ص 14.

حياته وتربيته وعلمه:

يعدّ مالك بن نبي واحدا من أعلام النّهضة الإسلامية، وأبرز مفكر عربي معاصر، عني بالفكر الحضاري منذ **ابن خلدون**؛ تزامن مع فترة تاريخية حاسمة إذ ترك بين ماض عريق انطفأ نجمه، ومستقبله لا يزال في بداية التّشكّل، فقد ولد **مالك بن الحاج عمر الخضر بن مصطفى بن نبي** بقسنطينة في يناير سنة 1905م، من عائلة محافظة فقيرة؛ ومن المهد تلقّى رعاية تربوية من الوالدين اللّذين حرسا على رعايته وتربيته خوفا من متلوثات المستعمر مع ما تلتزم به العائلة من عادات وتقاليد دينية.

كان الفتى مالك بن نبي شديد القرابة بجدّته الحاجة زوليخة التي تعدّ بالنّسبة له مدرسة أخلاقية رسخت في ذهنه وفي نفسيته معنى الخير والإحسان، وكلّ القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلّى بها الإنسان الصّالح.[1]

وفي سنة 1923 نجح **"مالك بن نبي"** في نهاية المطاف من الدخول إلى المدرسة الرّسمية على تكوين نفسه علميّاً ومعرفيّاً، حيث درس الأدب العربي والأدب الفرنسي وتطرّق بالبحث والدّراسة إلى الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي، وكان شديد الاهتمام بالمطالعة، الصّحافة العربية والفرنسية كجريدة المنتقد والرّاية والنّضال الاجتماعي والعصر الجديد... وقد أثّرت هذه الجوانب القيميّة والأخلاقية في شخصيته، كما كانت نافذة يبصر من خلالها مدى المأساة والمرارة التي كان يعيشها العالم الإسلامي وبخاصة المجتمع الجزائري.[2]

1- فهمي جدعان، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشرق، الأردن، ط 1، 1998، ص132.

2- عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، الجزائر، ط 1، 1984، ص216.

كان"**مالك بن نبي**" عضوا نشيطا في جماعة الوحدويين فكانت له الجرأة أن قدّم يوماً محاضرة بعنوان: "لماذا نحن مسلمون" في أواخر ديسمبر 1931، وقد أثارت هذه المحاضرة جدلا كبيرا بينه وبين الانفصاليين.[1]

تزوج "**مالك بن نبي**" عام 1931 من امرأة فرنسية أسلمت على يده وأصبح اسمها "خديجة"، وأحسّ بالاستقرار بهذا الزّواج وتهيأت له القاعدة النّفسية للتّركيز العلمي والتّحصيل الدراسي. وقد ساهم هذا الزواج في تنمية الحس الجمالي في تفكير "**مالك بن نبي**".

تعرّف "**مالك بن نبي**" في فرنسا على بعض الشّخصيات السياسية التي التقى بها وتأثّر بها منها: "المهاتما غاندي" (1869–1948) وشخصية "مصالي الحاج" مؤسس نجم شمال إفريقيا حيث نشط معه مسرحية "الحاكم الطّيب".[2]

وسمحت له روحه النّقدية ودراسته الاجتماعية والفلسفية والسياسية واحتكاكه بالأوساط الثّقافية بالانكباب على معرفة مشاكل العالم الإسلامي، واتّجه نحو تحليل الأحداث التي تحيط به وقد أعطته ثقافته المنهجية على إبراز مشكلة العالم المتخلف.[3]

[1]– مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1969، ص221.

[2]زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية ونقدية، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1994، ص45.

[3]رسالة ماجستير، الثقافة عند مالك بن نبي، قراءة معرفية وإبستمولوجية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص29.

وذلك من خلال محاضراته بمصر (1956– 1963) وكتاباته، صار بيته فضاء فكريا وثقافيا يقصده الطّلبة من عرب ومسلمين يستمعون إلى أفكاره ويستفيدون من رؤيته لمسألة الإصلاح ومنهجية تغيير العالم الإسلامي.[1]

وفي سنة 1972 قام بأداء فريضة الحج وأثناء رِحلته إلى مدينة الأغواط في الجزائر حيث كان يلقي بعض المحاضرات هناك، اشتد به المرض وكان قد أصابه السرطان في البروستات، فسافر إلى باريس للعلاج، ثم اشتدّ عليه المرض فنصحه الطّبيب المعالج أن يعود إلى بلاده، فعادوا به إلى الجزائر وبعد ثمانية أيام توفي في 31 أكتوبر 1973 بعد عمر يناهز الثّمانية والسّتين.[2]

[1] كي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، المرجع السابق، ص45.

[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

كان "**مالك بن نبي**"جريئا في طرح آرائه والتعبير عن أفكاره، وإن خالفت التيار العم، فقد تمتّع بجرأة مبدعة في تأصيل قوة الإرادة عند الأمة الإسلامية وقد كان رحمه الله يؤمن بأن الإصرار على بذل الجهد، والمشاركة الفعّالة يحطّم الأصنام السّياسية والفكرية والثّقافية والاجتماعية.

وقد ساهمت عدّة مصادر على تشكيل وصياغة فكر "**مالك بن نبي**"نقف عند أهمها:

أ- **أثر الثقافة العربية والإسلامية**:تلقى بن نبي في الوسط المدرسي تكوينا علميا وأدبيا معتبرا، حيث درس التّوحيد على يد شيخه "مولود بن موهوب" والفقه والسّيرة على يد الشيخ "بن العابد"، كما تلقى أيضا من الشيخ "عبد المجيد" أول ما أسس الثقافة العربية.

وتأثر تأثرا كبيرا بالحركات الإصلاحية الإسلامية بالجزائر كحركة الشيخ "**عبد الحميد ابن باديس**" وبالحركة الوهابية في الحجاز، وبالحركة الإصلاحية في المشرق، ومن شخصياتها "جمال الدين الأفغاني"، و"محمد عبده" و"رشيد رضا"، إذ يقول "**مالك بن نبي**": «وكان آخر هذه المؤثرات كتابات عثرتُ عليها في مكتبة النّجاح أحدهما الينبيع البعيدة...»[1]

ويعتبر "حمودة بن الساعي" المؤثر الحقيقي في شخصية "**مالك بن نبي**"فهو الذي أحدث في فكره تلك القفزة النّوعية من دراسة العلوم البحتة إلى العلوم الإنسانية[2] وقد تعلم منه كيفية تفسير وتأويل الآيات القرآنية تفسيرا اجتماعيا.

1- مالك ابن نبي ، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، الطبعة 1، 1969، ص66.
2- المرجع نفسه، ص67.

كما اطّلع **"مالك بن نبي"**على ألوان من الأدب العربي القديم كشعر **"امرئ القيس"** و**"الشّنفرى"** و**"عنترة"** و**"الفرزدق"**، كما قرأ الشعر الحديث **"لحافظ إبراهيم"** و**"معروف الرّصافي"** و**"جبران خليل جبران"** و**"إيليا أبو ماضي"**...الخ.[1]

ويعد القرآن الكريم الباعث الروحي والأساس الأول في تكوين **"مالك بن نبي"**.

ب- **أثر الثقافة الغربية**:تلقى **"مالك بن نبي"**عن المدرسة الفرنسية بالجزائر حب المطالعة والاستفادة من المنهج الدّيكارتي العقلاني، كما طالع الصحف والمجلات الغربية وخاصة الجرائد الماركسية منها: جريدة الإنسانية "L'Humanité" والكفاح الاجتماعي " Lute sociale".[2]

إن هذه الصحف التي تمثل الاتجاه الماركسي قد كشفت لـ**"مالك بن نبي"**عن طبيعة التّفاعلات الاجتماعية والقوانين التي تحرك المجتمع وخلال جهوده بفرنسا استطاع أن ينمي ويوسع تأملاته الفكرية والأدبية حيث قرأ لمشاهير الأدباء الفرنسيين أمثال **"لامارتين"**و**"شاتوبرايل"** و**"فيكتور هيغو"** و**"بلزاك"**...

كماتأثر ببعض الفلاسفة والمفكرين نذكر منهم: نيتشه في كتاب**"هكذا تكلم زرادشت"** وأخذ عن **"كانط"*** فكرة الحق والواجب التي أسس عليه مفهومه للعدالة الاجتماعية، كما أخذ عن "جوي ديوي" من خلال كتابه "كيف نفكر" تلك النّزعة البرغماتية التي تؤكد على الجانب النّفعي في

1- رسالة ماجستير، الثقافة –مالك بن نبي، قراءة معرفية وإبستمولوجية، مرجع سابق، ص30.
2- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص89.
*- كانط إيمانويل: فيلسوف من القرن الثامن عشر ألماني بروسي ولد في 1927 وتوفي في 1804.

مجال التربية اطلع أيضا على كتابات المستشرقين عن الإسلام مثل كتاب "أوجين يونغ" (Eugen Young) الإسلام بين الموت والرب (L'islam entre la baleineet lours) وكتاب "هنري بيرن""محمد وشرلمان" كما اطلع على كتابات المؤرخ الفرنسي "جيز" (Juizot) و"ولتر شوبرت" (walterschubart) وللفيلسوف الألماني "أسوالدشبينغلر" (OswaldSpengler) مؤلفه الضخم "تدهور الحضارة العربية".[1]

وكان للمؤرخ الإنجليزي "أرنولد توينبي" وصاحب مؤلف "دراسات التاريخ" أثرا كبيرا في فكر **"مالك بن نبي"**وفي نظرته للحضارة حيث استمد منه فكرة التحدي ودور في نشوء الحضارات حيث صاغها صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم، ويتجلى ذلك في كتابه "ميلاد مجتمع" يقول **"مالك بن نبي"**: «والواقع أن القرآن الكريم قد وضع المسلم بين حدّين هما الوعد والوعيد، ومعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له فيها أن يجيب على تحدّ روحي في أساسه».

كما استلهم فكره من الفيلسوف الألماني "هرمان كسر لينغ" فكرة البدايات الدينية لكل حضارات التي عرفتها الإنسانية، ويتضح ذلك في كتابه "شروط النهضة" ونستشف إلى جانب الثقافة الغربية أثر الثقافة الشرقية في فكر **"مالك بن نبي"**حيث اصطبغت مؤلفاته بنزعة إنسانية وروحية كنتيجة لتأثره بأفكار الأدباء والمفكرين الكبار أمثال "غاندي" وشاعر الهند "طاغور*".[2]

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 4، 1987، ص69-71.

*- رابد راناات طاغور:ولد في 1861 سحر الغرب بكتاباته ثم انتشرت ترجمته في العالم حتى استحق جائزة نوبل للأدب عام 1913وتوفي في 1941.

2- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 3، 1986، ص45.

تحلى **"مالك بن نبي"**بثقافة منهجية، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم، فألّف سلسلة كتب تحت عنوان "مشكلات الحضارة" بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر؛ كل ذلك ساهم في إثراء وتعميق تفكيره الذي أنصب أساسا من خلال العديد من أعماله ومؤلّفاته ليمثل بذلك الشخص المفكر.

أعماله:

بعد تخرجه من المدرسة الثانوية التي تؤهل للعمل – توازي المعهد في هذه الأيام- عمل كاتب عدل في المحكمة الشرعية في منطقة "**آفلو**"، ثم انتقل بعدها إلى محكمة "**شلغوم العيد**"، وكان اسمها يومها "شا تودان" ولم يعجبه تسلط كاتب محكمة الصلح آنذاك فقدّم استقالته، ثم أصبح شريكا في مطحنة مع صهره ولم تنجح المطحنة، وبعدها قرر السفر إلى فرنسا، أين انخرط في الأحزاب السياسية، ثم أصبح رئيسا "**لنادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة**" ولكن الفرنسيين أغلقوه بحجة أن مالك لا يملك شهادة تدريس وأن المكان تنقصه التهوية، وعمل بعدها في طباعة وتوزيع الكتب العلمية المبسطة.

ثم انتقل إلى مصر وفي القاهرة اتصل بالرئيس "جمال عبد الناصر"، وخصصت له الحكومة مرتبا شهريا مما ساعده على التّفرغ للعمل الفكري وقد عينه "أنور السادات" الأمين العام للمؤتمر الإسلامي آنذاك مستشارا له ، ثم انتقل إلى الجزائر عام 1963م، وعين مستشارا للتعليم العالي،

ثم مديرا لجامعة الجزائر، ثم مدير التعليم العالي، ولكنه استقال من منصبه عام 1968م ليتفرّغ للعمل الفكري والإصلاح.[1]

مؤلّفاته:

لقد ترك "**مالك بن نبي**"عدة مؤلّفات ركّزت كلّها على إبراز مشكلة "العالم المتخلف" بما في ذلك العالم الإسلامي، باعتباره قضيّة حضارة أوّلا وقبل وكل شيء فوضع كتبه جميعها في سلسلة تحت عنوان "مشكلات الحضارة".[2]

ويمكن ذكر آثاره تبعاً لتاريخ نشرها لأوّل مرّة كما يلي:

1- الظاهرة القرآنية (الجزائر 1946):

وهو كتاب صدر باللغة الفرنسية، تبنى فيه مؤلفه رؤية خاصة للعقيدة، تركز على فعالية دورها في بعث المجتمع؛ أي أنه محاولة للتأمل الواعي في الدين الذي يضع النهضة في اللحظة الحاسمة، حينما تنطلق الشرارة الروحية في اتجاه تغيير مجرى التاريخ.

[1] : موسى لحرش استراتيجية البناء الحضاري للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي .جامعة باجي مختار,الجزائر,سنة 2006 ص50.

[2]موسى لحرش، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006،ص60.

2- لبيك (الجزائر1947):

وهي رواية وحيدة تتسم بالشاعرية صدرت له باللغة الفرنسية، وتعبر عن حيرة الإنسان ومعاناته في العالم المتخلف حضاريا لاسيما في العالم الإسلامي (الجوع، الجهل...).

3- شروط النهضة (الجزائر1948):

صدر باللغة الفرنسية يتناول مسائل من الحاضر والتّاريخ والمستقبل ويركّز على أهم شروط الحضارة وعلى الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية كمركب من عناصر التاريخ وكحقيقة يؤيدها تاريخ الحضارات.

4- وجهة العالم الإسلامي (باريس1954):

صدر باللّغة الفرنسيّة يتناول مشكلة مجتمعات العالم الإسلامي المشتركة (الأزمة الحضارية) ويوسع تحليله أكثر ليبرز المشكلة في صورتها العالمية؛ أي في صورة مشكلة إنسانية. وكل ذلك من أجل تبيان المخرج وكيفية حلّ العقدة بتسليط الضّوء أكثر على واقع مجتمعات العالم الإسلامي.

5- الفكرة الإفريقية الأسيوية (القاهرة 1956):

كتاب صدر أيضا باللغة الفرنسية، وذلك بمناسبة انعقاد "مؤتمر باندونغ" حيث وضع مؤلّفه الأسس النظرية والمناهج التطبيقية لبروز كتلة جديدة على الصعيد العالمي والتاريخ البشري، يحتل فيها العالم الإسلامي مكانة هامّة.[1]

لكن الفكرة لم تتجسّد على أرض الواقع، نظرا لغياب الإرادة عن بعض الأعضاء لتحقيق ذلك.

6- النّجدة للجزائر (القاهرة1957):

صدر باللغة الفرنسية، وجه من خلاله مؤلفاته نداء للضمير الإنساني (العالمي) من أجل اتخاذ موقف إنساني حضاري حازم بشأن عمليات الإبادة التي كان قد تعرض لها المجتمع الجزائري من طرف الاستعمار الفرنسي.

7- مشكلة الثّقافة (القاهرة 1959):

صدر باللّغة الفرنسية تناول قضية الثقافة في مجتمعات العالم الإسلامي وغيرها من المجتمعات المختلفة حضاريا.

8- حديث في البناء الجديد (بيروت 1960):

[1]- موسى لحرش، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص52.

ويتضمّن هذا الكتاب خمس محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية، ألقاها **"بن نبي"** في مناسبات مختلفة أثناء زيارته لكل من لبنان وسوريا؛ ولقد جاء ترتيبها في هذا الكتاب على هذا الأساس: وحدة الموضوع، محاضرة "الثقافة"، محاضرة "كيف نبني مجتمعا أفضل؟"، محاضرة "خواطر عن نهضتنا العربية"، محاضرة "رسالتنا في العالم" وهذه الأخيرة تبرز بشكل خاص مشكلة اتجاه الحضارة في العالم.

9- الصّراع الفكري في البلاد المستعمرة (القاهرة 1960):

وهو كتاب صدر أصلا باللّغة العربية، حاول فيه مؤلفه الكشف عن حقيقة الصراع الفكري ولغته، تلك اللغة التي ليس لها معنى واضح إلا بالنسبة لمن عاش بدوره تجربة شخصية.

10- الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي (القاهرة 1960):

يتضمن هذا الكتاب محاضرة مترجمة من الفرنسية إلى العربية، يتناول فيها عقدة، كثيرا ما عانى منها الأفراد في مجتمعات العالم الإسلامي، وتتمثل في استسهال الصعب واستصعاب السّهل، وهي في وجهة من الوجوه صعوبة تعترض في المجال النفسي، مسيرة النمو أو النهضة في هذه المجتمعات. [1]

11- فكرة كومنويلث إسلامي (القاهرة 1960):

[1] موسى لحرش، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص53-55.

وهو في الأصل عبارة عن مخطوط كتبه **"مالك بن نبي"** باللغة الفرنسية في نهاية الخمسينيات، ثم ترجم فيما بعد إلى العربية، وفه حاول رسم إطار عام لمشروع يمنح العالم الإسلامي موقعا ضمن خارطة العالم المعاصر، موقعا يَنُمُّ عن الإدراك والوعي بدقائق مسيرة العالم الحديث؛ وفق ذلك عن القدوة في السلوك والمبادرات، وكذا الحضور المؤثر في هذه المسيرة.

12- تأمّلات في المجتمع العربي (القاهرة 1961):

يتضمن هذا الكتاب خمس محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية، وتعالج هذه المحاضرات في مجموعها موضوعا مشتركا، يدخل في نطاقه المجتمع العربي كما يدخل في نطاقه أيضا العالم الإسلامي والعالم المتخلف بصفة عامة، إنه موضوع العوائق المجتمعية التي تحول دون التقدم وكذا كيفية تجاوزها، وهذه المحاضرات هي: محاضرة "الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي "، محاضرة "المجتمعات في المجتمع" ومحاضرة "قيم إنسانية وقيم اقتصادية "، ومحاضرة "الديمقراطية في الإسلام"، ومحاضرة "التضامن الإفريقي الآسيوي".

13- في مهب المعركة (القاهرة 1961):

وهو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها **"بن نبي"** في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيّات، وتعالج فصول هذا الكتاب مسائل عديدة تتصل بواقع المجتمع الجزائريّ خصوصا، وواقع مجتمعات "العالم المتخلف" عموما، فهي من النّاحية التاريخية تصف ظروفا معينة مهّدت لاندلاع الثورة الجزائرية مثلا، ومن الناحية الفكرية تكشف عن بعض جوانب الاستعمار الخفية، ومن الناحية

النفسية والاجتماعية تحاول فك بعض العقد التي نشأت في نفوس أفراد المجتمع وحالت دون مواجهتهم لبعض المشكلات[1]؛ ومن الناحية الثقافية الواسعة تحاول تعميق الفكر عند الشباب المثقف حتى تكون موافقة إزّاء القضايا المتّصلة بمصير الإنسانية تتميز بالوعي والفعالية.

14- ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية (القاهرة 1962):

وهو كتاب صدر أصلا مترجما من الفرنسية إلى العربية، ويمثل نظرة تحليلية لمكونات المجتمع، ومحاولة تأمل في كيفية نشأته أو ميلاده، وكذا وظيفته في التاريخ. [2]

15- آفاق جزائرية (الجزائر 1964):

ويتضمن هذا الكتاب ثلاث محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية، ألقاها **"مالك بن نبي"** في الجزائر وهي: محاضرة "الجزائر العاصمة" ومحاضرة "مشكلة الثقافة"، ومحاضرة "مشكلة المفهوميّةDe l'idéologie" وكل هذه المحاضرات تحاول في جوهرها الكشف للجيل الصاعد عن السبيل الذي يضع الجزائر (وغيرها) في رؤية عليا للتاريخ، في أفق عالمي يتمازج مع التطور الشّامل للعالم.

16- مذكرات شاهد للقرن: القسم الأول [الطفل] (الجزائر 1966):

[1]: موسى لحرش استراتيجية البناء الحضاري ,المرجع السابق ,ص55-58

[2]موسى لحرش، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص55-58.

"**Mémoires d'un Témoin du Siècle**" وتحدث فيه "**مالك بن نبي**" عن المرحلة الأولى من حياته (1905- 1930) ومرافقتها من أحاث وطنية ودولية، وكان في كل التفاصيل التي يذكرها يحاول أن يجسد رؤيته الفكرية، وذلك باعتباره شاهد بصر وفكر في آن واحد.

17- **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث (القاهرة 1969):**

وهو كتاب صدر باللغة الفرنسية، تعرض فيه مؤلفه إلى جهود الغرب في تكوين الفكر والثقافة في المجتمعات المتخلّفة حضاريا، لاسيما مجتمعات العالم الإسلامي.

18- **مذكرات شاهد للقرن: القسم الثاني {الطالب} (بيروت 1970):**

صُدِر باللغة العربية، حيث تحدث فيه "**مالك بن نبي**" عن مرحلة أخرى من حياته في فرنسا (1930- 1939) قضى أغلبها في الدراسة، وحاول أن ينقل للقارئ تبصره بالأحداث، ويكشف عن هاجسه القوي الذي رافقه طيلة حياته: هاجس الحضارة ومشكلاتها. [1]

19- **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (القاهرة1971):**

صُدِر هذا الكتاب باللغة الفرنسية، حيث حاول فيه مؤلفه تبيان أن مجتمعات العالم الإسلامي تواجه منذ تدهورها الحضاري مشكلة أفكار وليس مشكلة وسائل.

---

[1]- موسى لحرش، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص58-60.

20- المسلم في عالم الاقتصاد (بيروت 1972):

صدر هذا الكتاب باللغة العربية، ركّز مؤلفه على ضرورة تخليص الفكر في المجتمع الجزائري، ومجتمعات العالم الإسلامي بصفة عامّة، كما ركز في هذا الكتاب على القضية الاقتصادية بالنسبة لهذه المجتمعات ليست قضية إمكان مالي بدرجة أولى، وإنّما قضية الطّاقات الاجتماعية (الاستثمار الاجتماعي) في مشروع، تحرّكها إرادة حضارية لا تحجم أمام الصّعوبات.

21- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (بيروت 1972):

ويتضمن هذا الكتاب الذي صدر باللغة العربية محاضرتين متسقتين ألقاهما **"مالك بن نبي"** في دمشق وهما: محاضرة "دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين" ومحاضرة "رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين"

22- بين الرشاد والتيه (طرابلس؛ لبنان 1977):

وهو عبارة مجموعة عن مقالات كتبها بن نبي بالفرنسية، ومادة هذا الكتاب تعكس في مجملها أحداث الستينات في الجزائر والعالم الإسلامي على العموم، وهي فضلا عن ذلك تطرح

مشكلات "العالم المتخلف" بعد الاستقلال السياسي، بحيث تحاول إبراز حقيقتها وأبعادها وكذا كيفية مجابهتها.

23- من أجل تغيير الجزائر (الجزائر **1989**):

وهو أيضا عبارة عن مجموعة مقالات كتبها "**بن نبي**" بالفرنسية، وقد جمعت هذه المقالات بعد وفاته (أي سنة 1989) وبوِّبَت ووضعت في شكل فصول ضمن كتاب عُنْوِنَ ب: "**من أجل الجزائر Pour changer l'Algérie**" يتناول بالتحليل مسائل في جوانب مختلفة: الاجتماع، الثقافة، الاقتصاد، العلاقات الدولية وكلها تبحث في حقيقة واحدة وهي: الحضارة.

وهناك بعض من مؤلفاته "**مالك بن نبي**" قد تمّ جمعها وترتيبها معا بعد وفاته في إطار كتابين معنونين كالتالي [1]:

1- القضايا الكبرى "Les grands thèmes"

2- تأملات

أقوال العلماء فيه:

[1]- موسى لحرش، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص52.

يقول الأستاذ الكبير "محمود محمد شاكر" في مقدمة كتاب **"في مهب المعركة" لمالك بن نبي:** «لعلي لا أبالغ إذا قلت إن المجموعة من مقالات أخي الأستاذ **مالك بن نبي،** هي عندي من أنفس ما كتب؛ لأنها تكشف لنا عن ذكر رجل خبير، فكّر في الأمور ساعة، بعد ساعة، وقيد هذا الفكر في حينه، فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ما كتب قديما، كأننا لم نتقدم خطوة في فهم البلاد الذي ينزل بنا ولا يزال ينزل... فهذا المفكر الخبير قد استطاع بحسن إدراكه وبقوة بيانه وبدقة ملاحظته، أن يفتح عيوننا على الخيوط التي تنسج منها حياتنا تحت ظلام دامس قد أطلقه المستعمر ليخفي عنا مكره بنا وخداعه لنا». يقول الأستاذ "محمد مبارك" في مقدمة كتاب "وجهة العالم الإسلامي"**لمالكبن نبي:** «إنّ هذا الكتاب يكشف في **مالك بن نبي** عن مفكر كبير احتل بسرعة فائقة مكانة اللائق في طليعة العالم العربي الإسلامي... وهو في مجموع آثاره ليس مفكرا صاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعيا مؤمنا يجمع بين الفيلسوف المفكر ومنطقته وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره... فأنا لا أقول إنه ابن نبي ولكني أقول أنه يُنهل من نفحات النبوة وينبيع الحقيقة الخالدة».

ويقول الأستاذ الدكتور "عبد العزيز الخالدي" في مقدمة كتاب "شروط النهضة" **لمالك نبي:** «و**ابن نبي** في الواقع ليس كاتبا محترفا أو عاملا في مكتب مكبّا على أشياء خامدة من الورق والكلمات ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الإنسان في صورته الخلقية والاجتماعية

وتكوين المؤلف كمهندس قد ساعده دون شك في التصوير الفني للأشياء ولكن ثقافته المزدوجة تسمح بأن يصل هذا التصوير بالخطّة الإنسانية».[1]

ويقول فيه الدكتور "مصطفى السباعي": «الأستاذ **مالك** جزائري الأصل، مجاهد في سبيل القضية الجزائرية منذ نشوئها... ويتميز الأستاذ **مالك بن نبي** في جميع مؤلّفاته بعمق التفكير ومنطقيته، وواقعيته، وقوّة أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبنّاها... وقد استطاع **مالك** بأسلوبه الذي تفرّد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية، أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير وبدأ يرى في الأستاذ **مالك بن نبي** رائده الفكري البعيد النظر القوي الإيمان المناضل بقلمه في سبيل الله والإسلام».

ويقول الأستاذ "أنور الجندي": «ومثل **مالك بن نبي** بين مفكري العالم الإسلامي من قليل فهو الرجل الذي ورد مورد العرب، وجاء منه تقيا صافيا، وقد حفظ الله له أصالته وأفاد ممّا وجد، نصاعة فكر، وبعد نظر، وعمق فهم، وقدرة على كشف تلك التحديات والشبهات والأوضاع التي عمد التّغريب والغزو الثقافي على نصب شباكها لتدمير الفكر الإسلامي وإثارة أجواء الاضطراب والتخلخل بين جوانبه».

[1] المرجع نفسه

الأستاذ "**مالك بن نبي**" منسيٌّ، زماننا فقد يكون السبب في ذلك أنهلم يؤسس يعمل جماعي ولم يدرب غيره على حمل فكره من بعده مثلما كان الأمر مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجماعة الإخوة المسلمين في مصر: ولكن مع ذلك فهو المفكر القدير والإصلاح الرائد، الذي استطاع أن يضع منهج لعمل إصلاحي وذلك بعد نقده لمناهج التغيير للمدارس الإصلاحية الأخرى وإضافة إلى ذلك استطاع أيضا أن يرسم نقاط تقاطع بين فكره وبين فكر هاتين المدرستين الإصلاحيين:

1) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

2) جماعة الإخوة المسلمين في مصر.

رؤيته للإصلاح الاجتماعي:

أ- دوافع العمل الإصلاحي:

1) **الاستعمار**: لقد كان الدافع المشترك تقريبا بينهم الدافع الاستعماري، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تأسست سنة 1931 وكان من أهم دوافع أساسها احتفال المستعمر الفرنسي، بمناسبة مرور 100 سنة(قرن) على احتلال الجزائر بالإضافة إلى حالة النسخ التي أراد الاستعمار أن يُلحقها بالشعب الجزائري المسلم.

كان جيل "**مالك بن نبي**" كما قال بين قوة سلبية تدعوا إلى السّكون والوداعة فهي تلبّي رغبات النّفس الميّالة للسّهولة، وبين قوّة إيجابية تحفزّه للعمل والكدّ وتحدّي الصّعاب والقيام بالواجب،

وكانت حينئذ الجزائر في مناحرة للاستعمار فرنسي وبكل الوسائل فقد كان يؤمن بالكفاح القلمي الفكري وأنه لا ينقص أهميّة عن الكفاح المسلّح بالمفهوم الكلاسيكي. [1]

2)**تصحيح المفاهيم**: لقد سادت فوضى كبيرة في المفاهيم وفي كل الميادين السياسية والثقافية والدينية...

هذه الفوضى التي كان المستفيد منها الاستعمار الفرنسي وهي نتيجة حتمية لوجوده فهو الذي قام بخلط المفاهيم لضمان بقائه.وكان الأستاذ **"مالك بن نبي"**يقول:«إنه ينبغي لنا أولا أن نحدد كلا المفهومين وكان يقصد الثقافة والسياسة وهذا لا يمنع من تعميم فكرته هذه على كل مالصقت».

والإمام **"مالك بن نبي"**كان يؤكد على تصحيح هذين المفهومين الثقافة والسياسة وضبطهما لكونهما مرتبطين ببعضهما البعض فلا وصول عنده إلى التغيير الذي ينشده إلا بإصلاح يبدأ على المستوى الثقافي وينتهي إلى الإصلاح السياسي

3)**الطموح وإرادة التمكين للدين**: كان الأستاذ **"مالك بن نبي"**طموحا باسمِه وباسم شعبه عندما يتكلم عن الموضع الذي له شعبه في المجتمع العالمي، وبالتالي فهو يسأل عن الدور الذي يجب أن يتمسك به الشعوب العربية والإسلامية، عموما في المساهمة في الحضارة الإنسانية. قال تعالى: «**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْآمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرٌ لهُمْ مِنْهُمْ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرَهُمْ الفَاسِقُونَ**».

1- أحمد أبو معالي نذير، نقاط تقاطع في فكر مالك بن نبي، موقع من الإنترنت: www.google.com.fr، (رؤية مالك بن نبي في الإصلاح).

فكان الطموح هو أن يبقى الإسلام كدين صالح للدنيا والآخرة على هامش الحضارة الإنسانية بل أرادوا له أن يكون الرّكن الأساسي لهذه الحضارة والتي لا قيام لها إلاّ به، أرادوا للمبادئ الإسلامية أن تؤثّر وتساهم في صناعة التّاريخ : يقول **"مالك بن نبي"**: «هل في أنفسنا كعرب وهل في أرواحنا كمسلمين منبع منه خير للإنسانية؟» ثم يجيب على هذا السؤال بقوله: «يجب أن يكون في نشاطنا شيء تعترف به الإنسانية من حاجاتها، شيء يضمن لنا مركز لربما في المجتمع العالمي».

ب- مرتكزات وخصائص العمل الإصلاحي:

لقد كان لأفكار الإصلاحيين والمفكرين خصائص تميز فكرتهم عن غيرها من الأفكار ولكن هذا لا يمنع من وجود نقاط تقاطع بينهم من خلال المرتكزات، وعليه فقد اشتركت فكرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفكرة الإخوان المسلمين وفكرة **"مالك بن نبي"** في:

1) **الشمولية**: لقد كانت الشمولية في فكر **"مالك بن نبي"**واضحة جلية فقد تمكن -رحمه الله- من تحقيق الفهم الشّامل لمشكلات العالم الإسلامي مُستوحياً ذلك من مرجعية الإسلام والواقع الاستعماري.

لقد أراد أن يكون شاملا في فكره وفي تناوله لقضايا وهموم الوطن العربي بمحاولته لمعالجة المظاهر المرضية، ومنها فهو يُحاول نقل هذا العالم المتخلف إلى مصاف الدول الصّانعة لمجد العالم

والوصول بها إلى مستوى المشاركة في المسيرة العالمية لقد كان شموله في عالم الأفكار فهو يتكلم عن الثقافة، مثلما يتكلم عن التاريخ وعلم الاجتماع والسياسة.[1]

2)**العالمية:** فالأستاذ **"مالك بن نبي"** يأتي ضمن قائمة رواد الإصلاح في العالم الإسلامي فقد جاء بأفكار عميقة لأجل النهوض الحضاري من خلال رؤية تنطلق من الإسلام متماشية مع روح العصر والعالم، فتركز على القضايا الأساسية التي تشغل الإنسان المسلم أينما كان لذلك جاءت أفكاره عابرة للحدود وفي إطار كلي بعيدا عن التجزئة، إنها النظرة العالمية في فكر **"مالك بن نبي"**.

وأكد أيضا على ضرورة خروج الفكر الإسلامي في حل مشكلات العالم الإسلامي من الذاتية المتعلقة إلى رحابة عالمية فقد كان يرى أن عالمية الإسلام شرطها مقامة القابلية لاستعمار مع وجوب إدراك أن قضية العالم الإسلامي هي قضية بناء حضارة بالأساس.

وإذا جئنا إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فالشيخ "البشير الإبراهيمي" بشمولية وعالمية فكره وبفهمه للإسلام متمثلا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، إنها وحدة الدين ووحدة الإنسان.

3)**إيثار العمل عن الدعاية والإعلام:** لقد كان من خصائص حركة الإخوة في مصر إيثار العمل والإنتاج على الدعاية الفارغة، لقد كانت دعوة الإخوان، المسلمين رافضة لبعض أساليب

1- أحمد أبو معالي نذير، مرجع السابق،موقع من الإنترنت.

وطرق الإصلاح مثلما كان الحال مع "**مالك بن نبي**"الذي ثار في وجه بعض هذه الأساليب في الجزائر، وذلك ردا على بعض الأقاويل المخطئة في حق جماعة الإخوان. [1]

فبالرغم مما أثر "**مالك بن نبي**"للحركة الإصلاحية من تجديد للقيم الإسلامية ومن إنجازات فكرية مهمة إلا أنه يسجل عدم استطاعتها المساس بأصل الداء واقتصارها على الأعراض المرضية فبقيت في دائرة التشخيص بعيدة عن البدائل فابتعدت في نظره عن البناء والتوجيه ماسماه "**مالك بن نبي**"علم الحضارة لم تكن الحركة الإصلاحية قديما نظرة شاملة، فقد ذهب كل مصلح إلى وصف الوضع الراهن تبعا برأيه ومزاجه فرأي رجل سياسي كجمال الدين الأفغاني أن المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية بينما رأي رجل ديني كالشيخ "البشير الإبراهيمي" أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة....الخ.

4)**الإنسان أساس التغيير**:فلإنجاح التغيير المنشود يجب أن نحققه أولا في أنفسنا فيجب على فرد أن ينقد نفسه أولا ويكون بذلك إنقاذ المجتمع ومن ثمة أُمّتِهِ فالتغيير يقتضي تغيير ما في النفوس أولا لقوله تعالى: «إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىَ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم».

يرى "**مالك بن نبي**"بأننا قد أدمننا العجْز وحجّتنا أن التّحدي عظيم، والهدف ضخم من الصّعب تحقيقه والأصل أن نحدّد الأهداف قريبة المنال، ثم نصعّد منها إلى ما بعدها ولكنّنا رضينا بهذه اللّعبة الخبيثة نضحك بها على أنفسنا، ونزعم أنّ الأفكار أكبر منّا ومن إمكاناتنا، إذن لابد من

1- أحمد أبو معالي نذير، مرجع السابق،موقع من الإنترنت.

مايسمّيه الإخوان في دعوتهم بالمرحليّة في العمل الإسلامي وهي التدرج وعدم حرق الأشواط بداية من اسم الأهداف فلا يمكن أن نزرع حقلا كبيرا ببذرة واحدة فالحركة تعني أن أهدافها كثيرة وطريق تحقيقها شاق فهي ضد التهور وحرق الأسواط لقوله صلى الله عليه وسلم: إن المنبت لا أرض قطع ولا ظهرا أبقى. [1]

1- أحمد أبو معالي نذير، مرجع السابق،موقع من الإنترنت.

مظاهر الإصلاح في فكره ونشاطه:

هناك فكرة محورية تشغل حيزا كبيرا من أعمال **"مالك بن نبي"**وهي أن الإصلاحيين عموما ابتعدوا عن التخطيط الذي يعالج التغيير من خلال هدف واضح أو برنامج موضوعي، واستغلوا بقضايا عرضية أو جزئية لسعى "محمد عبده" لإصلاح علم الكلام وسعى "الأفغاني" لإصلاح الحكم وانشغال "الكواكبي" و"رشيد رضا" بمسائل دفاعية... كل ذلك في نظر **"بن نبي"** ابتعد عن جوهر المشكلة التي هي التخلف وبالتالي أهمل عملية تربية المجتمع باتجاه إعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية وتحويل الواقعية للمجتمع نحو تحقيق التقدم، وهذا ما ذهب إليه **"مالك بن نبي"** خلال طرحه لمناهج الحركات الإسلامية المعاصرة في التغيير والتي تندرج ضمن القضايا الكبرى لأهم مشكلات العصر: **الحضارة،الثقافة، المرأة**.[1]

1- عبد اللطيف عبادة، نقد وتقويم انطلاقا من فكر مالك بن نبي، مجلة الموافقات، العدد3، جوان 1994، ص318.

1- مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

ينبني مفهوم الحضارة عند "**بن نبي**"على اعتقاده الواسع بأن:«مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارة، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، ولم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها، وانطلاقا من هذا الاعتقاد الراسخ بأهمية الحضارة وضرورة فقه حركتها منذ انطلاقتها الأولى إلى أقوالها يحاول "**بن نبي**"إعطاء تعريف واسع للحضارة، يتحدد عنده في ضرورة توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه».[1]

ويتبين من خلال هذا أن مفهوم الحضارة عند "**بن نبي**"شديد الارتباط بحركة المجتمع وفاعلية أبنائه،سواء في صعوده في مدارج الرقي والازدهار، أو في انحطاطه وتخلفه. وهذا ما أكده بقوله: «إن أول ما يجب علينا أن نفكر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أن نفكر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء إذا ما أراد تكوينه».

فهو يحلل الماء تحليلاً علميّاً، ويجد أنّه يتكوّن من عنصرين (الهيدروجين والأكسجين)، ثم بعد ذلك يدرس القانون الّذي يتركّب به هذان العنصران ليعطينا الماء وهذا بناءً ليس بتكديسٍ.

العناصر الضرورية التي تتشكل منها كل الحضارات —حسب مالك–هي ثلاثة: الإنسان+التراب+الوقت. [2]

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص19-20.
2- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط 5، 1991، ص30.

2- إبداع وتميز وليست تقليدا وتبعية:

يدعو "**مالك بن نبي**"في جلّ كتاباته إلى ضرورة إبداع بدائل فكريّة ومناهج مستقلّة تتناسب مع البيئة الإسلامية بدل استيرادها كما هي من الغرب الأوربي، ويلحّ على ضرورة الاستقلال الفكري في دراسة مشكلاتنا الحضارية والاجتماعية، فهو يرى أن لكلّ حضارة نمطها وأسلوبها وخيارها، ومن أهم الخصوصيات التي ميزت نشوء الحضارة الإسلامية أن نشوءها سببه الوحيّ الرباني مما جعلها حضارة خالدة خلود المبادئ والتّعاليم الّتي تحملها وتدعو إليها.

ولهذا فالحضارة لا يمكن استيرادها من بلد إلى آخر رغم استيراد كل منتجاتها ومصنوعاتها.

لأن الحضارة إبداع، وليس تقليدا، فبعض القيم لا تباع ولا تشترى، ولا تكون في حوزة من يتمتع بها كثمرة جهد[1]؛ فالحضارة من بين هذه القيم التي لا تباع ولا تشترى.

أ- الحضارة هي التي تلد منتجاتها:

لقد أولى "**بن نبي**"كلّ اهتمامه لتحريك الإنسان المسلم الذي يمثّل بالنّسبة له جوهر الحضارة وعمودها الرئيسي نحو مواقع الفاعلية والإنتاج لأن المقياس العام في عملية الحضارة هو أنها هي التي تلد منتجاتها.

طالما بقي المجتمع الإسلامي عاجزا عن إيجاد البدائل الفكرية والمنهجية التي تنسم مع عقيدته وواقعه، فهذا يعني أن المجتمع مازال يعاني من التبعية والتخلّف، ولم يرق أفكاره بعد إلى درجة

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص51.

الاستقلال والتحرر الشّاملين، ففي نظرة "**بن نبي**"أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكن ، على أية حال، أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولتصنيعه... فعلينا أن نكْتسب خبرتنا، أي أن نحدد موضوعات تأملنا وألاّ نسلّم بأن تحدد لنا بكلمة، علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي.[1]

ب- القابلية للاستعمار تكبّل المجتمع وتحُول دونه والإبداع:

ليرى "**بن نبي**"أنّ الاضطراب والفوضى والتناقض والغموض، وغير ذلك إنّما يرجع وفي جانب كبير منها إلى تلك القابلية للاستعمار التي تسكن نفوس هذا المجتمع، وبدل أن تساهم كتابات أولئك المغتربين في تشييد البناء الحضاري للأمة الإسلامية، ونجدهم يلجئون إلى تكديس "المعارف" والانجذاب إلى الإكثار من الألفاظ الرّنّانة وتلويك المصطلحات الغربية، وطبيعي أن هذا التكديس لا يؤدي إلى إنشاء حضارة لأن البناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس، ولنا في أمم معاصرة أسوة حسنة. [2]

ونرى مثلا ما فعلته النخبة في اليابان التي استطاعت في تعاملها مع الغرب أن تفرق بين ما هو صالح للاقتباس، لابد منه ولا ضرر يخشى منه وما هو صالح وخاص بالقيم والأخلاق العربية التي تتعارض مع قيم الإنسان الياباني وأخلاقياته.

1- عمر كامل مسقاوي في تقديمه لكتاب مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، موقع من الإنترنت: (مظاهر الإصلاح في فكر مالك بن نبي.www.google.com.fr)، ص 12-13.

2- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ترجمة عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1991، ص48.

3- الدورة الحضارية عند مالك بن نبي:

استخلص "**بن نبي**"من قراءاته المتعددة للتاريخ البشري وفلسفته ولتاريخ الحضارة الإسلامية أنّ مسيرة الأمم والجماعات تخضع لنظام دوري، وهذا في نظره الذي يجعل الأمة في فترة من فترات تاريخها الحضاري تسجل مآثر عظيمة، تبقى خالدة في سجل تاريخها وتاريخ البشرية من حولها، كما تسجل عليها في فترات أخرى انتكاسات وهزائم حضارية وعمرانية وعسكرية.

ويرى "**بن نبي**" أن هذا القانون طبيعي جدّاً، لأنه يخضع لنفس النّواميس التي تخضع لها باقي مخلوقات الله في هذا الكون، فاليوم يبدأ بالشروق والزوال ثم يتبعها الغروب الذي يسدل الظلام على الكون؛ انطلاقا من هذا يقول "**بن نبي**": «إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية، فإننا نرى الحضارة تسيّر الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثمّ متحوّلة إلى أفق شعب آخر».

ولا يعني هذا أنّ التاريخ يفرق هداياه، أو يوزع أمجاده لأيٍّ كان كما تنشر الشمس أشعتها حينما تأذن بالشروق، لكن التاريخ كتلة من السنن والنواميس الإلهية التي تتحكم في توجيه الأفراد والمجتمعات على السواء؛ إذ لابد من استيعابها والسير على هداها، والذين لا يحترمونها ولا يستوعبون عبَرها ومراميها، فإن حركتهم تكون حركة مضطربة لا يحكمها ضابط ولا هدف. [1]

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص49.

ولكي يخرج المسلمون مما عليهم الآن من سبات حضاري لابد أن يستوعبوا سنن الله الثابتة في الكون التي يخضع لها الأفراد والجماعات، لأنهم بهذا الاستيعاب فقط يمكن أن تكون حركتهم في التاريخ حركة ثابتة وهادفة بدل أن تبقى كما هي عليه الآن حركة عشوائية تحكمها الصدف، وتوجهها الأهواء الفردية والنزوات الشخصية. [1]

1- مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص20.

1-مصطلح الثقافة عند مالك بن نبي:

اهتم "**مالك بن نبي**"ببحث الثقافة،فحدد مرجعيتها وأصولها التاريخية، واستنبط تعارفها المختلفة من القواميس العربية كتعريف لسان العرب، كما بحث في مقدمة "بن خلدون" وفي لغة الأدب وغيرها، فلم يعثر على مفهوم الثقافة في اللغة العربية على الرغم من أن الفعل "ثقّفَ" أصل لغوب يتصل تاريخه بلغة ما قبل الإسلام. [1]

وقد ورد في بعض آيات القرآن الكريم: «**فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِّفْتُمُوهُمْ**»، [سورة النساء الآية:91]

وفي كتب التفسير نجد أن الفعل ثقف في هذه الآية يتخذ معنى وَجَدَ وأَصَابَ أي، فأْسُروهم حيث وجدتموهم. [2]

يرى "**مالك بن نبي**"أن وجود الأصل اللغوي لكلمة ثقافة في التراث العربي الإسلامي لم يعالج كمفهوم وكظاهرة اجتماعية وفي هذا الإطار يذهب مالك بن نبي إلى أن الثقافة مفهوم حديث ومرجعية أوربية.

يعرف "**مالك بن نبي**"الثقافة بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية يتلقاها الفرد منذ ولادته.

1- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1969، ص29.
2- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ، ج 2،دار الرشاد، ص29.

فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقها الإنسان المتحضر. [1]

هذا التعريف يبين بوضوح أن الإنسان كائن اجتماعي ومدني بطبعه يكتسب من مجتمعه نسقا من القيم والمعايير الخلقية والاجتماعية والثقافية ومن هذا نستشف تجليات التصور الإسلامي حيث يعتمد "**مالك بن نبي**"على الحديث النبوي الشريف يقول "**بن نبي**": «إن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية، ثم يتولى المجتمع تشكيله ليكيفه طبقا لأهدافه الخاصة وهو المعنى الذي يقصد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة،فأبواه يُهاودانه،أوينصرانه،أو يمجسانه». [2]

2-مشكلة الثقافة في فكر مالك بن نبي:

إن المشاكل العديدة التي نطلق على مجموعها مصطلح (التخلف)، هي في الواقع تعبيرات مختلفة عن مشكلة واحدة ومفردة تواجه كل بلاد متخلفة أي أنها مشكلة(حضارة)، وأن هذه الرغبة وهذه القدرة لدى المجتمع، المتحضر نابتحتان ليس من تكديس منتجات الحضارة، ولكن من تركيب أصيل لعناصر التراب والإنسان والزمن. [3]

فتحت عندما نطرح هذا التساؤل (ما هي الثقافة؟) فإننا لا نجد فكرنا حرا، ولكننا نراه بكل تلك المشاكل، ومعلوم أن هذا السؤال ليس له المعنى نفسه، عندما يتعلق الأمر بمجرد اهتمام ذهني له علاقة بجمع الوثائق مثلا، فنحن عند ما نطرح بالجزائر هذا السؤال: ما هي الثقافة لا نفكر بالدرجة

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 4، 1987، ص89.
2- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 3، 1986، ص65.
3- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ترجمة عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1991، ص68.

الأولى في ضروب التسلية التي يمكن أن تقدمها لنا الفنون الفلكلورية، والمسرح، والشعر ولكننا نفكر أولا في الحقائق المحسوسة للتخلق: في البطالة والأمية ونقص التغذية...الخ.

وللتخلف جغرافيته وتاريخه، أما جغرافيته فهي تشمل المساحة التي تنتظم على وجه التقريب نصف الجهة الجنوبية من الكرة الأرضية.

وأما من الناحية التاريخية، فنميز بين شكلين من التخلف: الشكل الذي يعزى إلى عوامل عرضية كالتقهقر كما هي الحال بالنسبة إلى المجتمع الإسلامي حتى آخر عهد الدولة المحمدية، والشكل الذي يعزى إلى عوامل دائمة ومزمنة من الركود، كما هي الحال بالنسبة إلى حياة السكان الذين يكونون ما نسميه بالمجتمعات البدائية. وعلاوة على ذلك يجب أن نأخذ في حسابنا الاستعمار الذي يمكنه أن يصبح عامل ركود أو تقهقر راجح الكفة، وبالتالي فهذان العاملان لا يشكلان سوى مظهر من مظاهر مشكلة الإنسان.

مع ملاحظة أن فعالية الإنسان بالذات هي التي تقوم بتحديد بقية العوامل الأخرى وبالتالي لنا أن نعقد الصلة بين الثقافة والفعالية باعتبارها صفة ملازمة للإنسان المتحضر، فالثقافة التي يتم تصورها في صيغة بيداغوجية هي كل هذا جميعا: هي تركيب متآلف للأخلاق، والجمال،والمنطق، والفن الصياغي. [1]

1- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، المرجع السابق، ص89.

1- التربية الأخلاقية والوطنية للمرأة عند مالك بن نبي:

اعتبر"**مالك بن نبي**"المرأة أحد المكونين الأساسيين للحس الأخلاقي والوطني، وأحد المشاركين في ليالي الاستعمار الدامس قصد صيانة انتماء الفرد إلى كينونته الاجتماعية وإلى منظومة القيم الأخلاقية.

ولذلك يتذكّر المؤلّف تلك القصص الّتي كانت تحكيها الجدّات لأحفادها في ليالي السّهر بأسلوب جذّاب أخّاذ وهنّ يتناولن عمل الخير وجزائه وعمل الشرّ وعقابه.

وعلى طول رحلة المؤلّف في العشرينيات بمدينتي قسنطينة وتبسة، وفي الثلاثينيات بباريس فإنّك تحسّ بحضور أمّه المؤازرة له دوما بشخصيّتها القويّة والفعّالة، ولأبلغُ تعبيرٍ عن ذلك ما سحبه عنها خلال فترته الباريسية حين قال: «فكانت والدتي كأنها حاضرة معي، يدفعني حضورها إلى العمل، ويذكرني أنها تنتظر رجوع ابنها مكللاً بالنّجاح، متحصلاً على أعلى الشهادات التي تحقّق المركز المرموق».[1]

2- تأثير والدته وزوجته عليه:

أنّ التّدبير الاقتصادي والتّنظيم الدّقيق لحياة الأسرة عند "**مالك بن نبي**"تتكفّل بها المرأة أوّلا وأخيرا وأوّل مثال على ذلك والدته التي يصفها منذ البداية بأنها كانت متصرفا حكيما وممّا لا شكّفيه

1- محاي الإدريسي، مكانة المرأة في فكرمالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، العدد 3، جوان1994، ص346-347.

فإنّ المؤلّف تأثّر كثيرا بوالدته أكثر ممّا تأثّر بوالده، وكان يهتدي بأدائها ويطمئن لتوجيهاتها في الحياة، حتى وافتها المنيّة وشعر بفراغ وضياع عبّر عن ذلك بقوله: «كأنّما وفاة والدتي زرعت حولي الفوضى والحيرة».

وتأتي بعد والدته زوجته الّتي كانت تصنع المعجزات في الاقتصاد، ولقد كانت نموذجا في التّنظيم والاستفادة والإتقان.

لم يخف "**مالك بن نبي**"إعجابه الشديد بإبداع زوجته ونظامها وانعكاس ذلك على أفكاره، كما ذكر خصالها في التدبير المعنوي وتوفير الظروف النفسية الضرورية لزوجها حتى يقوم برسالته أحسن قيام، ويتذكر المؤلف هذه الخصال فيقول: «ومضت زوجتي تتفنن من أجل توفير جميع وسائل الراحة لي داخل البيت، حتى من الناحية الفكرية، إذ كانت تأتي على الأشياء التي أشاهدها في عالمي الجديد بشهادة من يعرفها من داخلها. لقد كنت أرى في تلك الأشياء القيم الحضارية التي أصبحت الشغل الشاغل بالنسبة لي من الناحية النظرية، لكن زوجتي ألبستها لباسها الإنساني وصيرها ملموسة أمامي».[1]

3- مساهمتها في الحياة العامة:

لم يحصر "**مالك بن نبي**"دور المرأة ومكانتها في مجالات التربية والتّدبير والتّنظيم والذّوق الجمالي فقط، بل أكثر التّلميحات والإشارات إلى حضورها في مجال الحياة العامّة بصفتها دعامة من

1- محاي الإدريسي، مكانة المرأة في فكرمالك بن نبي ، المرجع السابق، ص347-348.

دعائمها، فهو يشير بكلّ احترام إلى هوايات المرأة المتعدّدة، إذ أنّه يسجّل بإعجاب كبير أثر كتاب "إيزابيل إرمات" المتوفاة ستة 1908 في الجزائر فيه عن الإسلام قال: «قرأت وقرأت أثر تلك النورية الغجرية التائهة الهائمة على وجهها الضاربة في الصحراء...، كنت أبكي وأنا أقرأ كتابها»، في ظلال الإسلام الدّافئة كما يتحدّث حديث العارف بأسباب تقدّم المرأة اليهوديّة ودورها في صعود جنسها للاستيلاء على العالم بسبب علمها وثقافتها وعملها الدّؤوب للحصول على قوّتها.

4- المرأة كائن اجتماعي:

لقد عدّ"**مالك بن نبي**"التّوجه الأخلاقي والجمالي ناتجا حضاريا وتعبيرا أسمى عن رقيّ الثّقافة، فهو يصوغ العلاقة بينهما بصورة جبرية هكذا: مبدأ أخلاقي+ ذوق جمالي = اتجاه حضارة؛ أما القضايا الأخرى المتعلقة بوضع المرأة فهو يشابهها بوضع الرجل، فهما يشكلان في حقيقتها مشكلة واحدة وهي مشكلة الفرد والمجتمع.

وقد نجد من يرفض الأطروحات القائمة على تقابل التحرر والتّزمّت، فنجد دعاة التّحرر والتّبرج يريدون المرأة كبضاعة تثير الغرائز الجنسيّة، ومن جهة أخرى نجد دعاة المحافظة يمنع المرأة من الخروج بدافع جنسي، كذلك وهو الخوف على أنثاه أن يشاركه فيها غيره، فالأمر إذا عند دعاة التّبرج

والتّزمت معا هو إهدارٌ لكرامة المرأة، واحتقار لدورها في المجتمع ولمكانتها في الحياة واعتداء على المجتمع الّذي يريدها أن تكون خادمة للحضارة، وملهمة لذوق الجمال وروح الأخلاق وفقا للدّور الّذي بعثها الله فيها أمّاً وزوجة لرجل. [1]

مشكلة الزّيّ:

لقد خصّص **"مالك بن نبي"**-رحمه الله- فصلا خاصّا في كتابه **"شروط النهضة"** لقضيّة الزّيّ بعد الفصل الّذي خصّصه لقضيّة المرأة.

لقد ركّزت الدّعوات الأولى لتحرّر المرأة أهدافها على الحجاب الشّرعي للمرأة المسلمة، ممّا يذلّ على مسألة الزّيّ أو اللّباس ليست مسألة جانبيّة أو شكليّة بل مسألة لصيقة بالنّموذج الحضاري الاختيار الثّقافي للفرد والمجتمع.

إنّ **مالكا** يرى أن الزّيّ أحد عوامل التّوازن الأخلاقي الرّئيسية وأنه ليس مجرد ديكور خارجي خال من المعاني والمضامين الكبرى في حياة الأمّة، بل تعبير عن هويّة لأنّه يسهم في تسيير المجتمعات عن بعضها ويعطيها خصوصيتها المتفرّدة، ويعطي الفرد الشّعور بالتّكاليف الاجتماعية التي عليه لباسه المميّز. [2]

1- محاي الإدريسي، مكانة المرأة في فكرمالك بن نبي ، المرجع السابق، ص350-351.
2- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص188.

أما بالنّسبة للمرأة فإن الزّيّ يمثل حقيقة نساء المجتمعات الأخرى ويضفي عليها معاني الحضارة الّتي تعيش في قوالبها وأشكالها وطقوسها.

لباس المرأة الأوربيّة مثلا الّذي كشفها وفضح جسدها يدل على تسخير المرأة لأغراض كالتّحرر والحضور الفاعل في المجتمع يقول "**مالك بن نبي**"غير أنها أصبحت اليوم . أي المرأة الأوربية . تلبس اللباس الفتّان المثير، الذي لا يكشف عن معنى الأنثى، مما يؤكد المعنى الجسدي الذي يتمسك به مجتمع سادة الغرام باللّذة العالجة.

5- دور المرأة في البناء الحضاري:

تكتسي المرأة المسلمة عند "**مالك بن نبي**"أهميّة خاصّة في إعادة البناء الحضاري للأمّة من جديد، فهي عماد الأسرة التي تقوم بتشكيل الأفراد وتنشئتهم وإعداد الأجيال لحمل الرسالة، ولذلك يضع مالك علاقة متينة بين شخصية المرأة التي يريدها المجتمع وبين قضية بناء حضارة المجتمع. يقول **بن نبي**: «الواجب أن توضع المرأة هنا وهناك حيث تؤدي دورها خادمة للحضارة، وملهمة الجمال وروح الأخلاق، ذلك الدور الذي بعثها الله فيه أمّاً وزوجةً للرجل».[1]

ونظرا لخطورة المهمّة الحضارية وتصعب مشاكلها، فإن حلّ مشكلة المرأة هو الآخر كجزء من هذه المهمة لا يمكن أن ينهض به . في نظر "**مالك بن نبي**". لذلك يقترح عقد مؤتمر عام تحدّد فيه مهمّة المرأة بالنّسبة لصالح المجتمع، يشارك فيه إلى جانب علماء الشّريعة الأطباء وعلماء النّفس

1- مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق ، ص138.

والاجتماع، حينئذ يمكن القول . بحسب **مالك** . إنّنا وضعنا المنهج الأسلم لحياة المرأة. وينبغي أن تكون مقرّرات المؤتمر العام دستور لتطوّر المرأة في العالم الإسلامي.

وما يملي عقد مؤتمر للمرأة المسلمة عند "**مالك بن نبي**"هو أنّ المرأة في العالم الإسلامي تتطوّر أوضاعها بطريقة غير مرسومة الأهداف ودون غاية محدّدة، أي بعيدا عن أهداف البناء الحضاري للأمّة، ممّا يقتضي ضرورة التّخطيط لهذا التطوّر لتحديد الأهداف المتوخّاة منه، بشكل لا تتعارض مع الأهداف العليا للأمّة الإسلامية.

وبسبب هذا الوعي الحضاري لـ"**مالك بن نبي**"فإنّه لا يتحدّث عن تحرّر المرأة أو عن حرّيتها، ربما لكي لا يقلِب المفاهيم ويسقُط في شراك المصطلح الغريب بل يتحدّث عن الحضور ليربط قضيّة المرأة الشّاملة للأمّة، وهذا الحضور المشتقّ من معاني الحضارة والذي يعني الفاعليّة، يرتبط في مدلوله العام بمصطلح الشّهود الحضاري للأمّة، حتىّ تظلّ الأمّة المسلمة خير أمّة أخرجت للنّاس، شاهدة عليهم وهو شهود باقٍ إلى يوم القيامة. [1]

1- المرجع نفسه ، ص138.

الخـاتمـة

إذا كان "**بن خلدون**"فيلسوف الحضارة الإسلامية الأول ومن أبرز المفكرين الذين اهتموا بتقديم رؤية منهجية لمفهوم الحضارة، فإن "**مالك بن نبي**"يعتبر ولا ريب أبرز مفكر إسلامي قد عني من بعده بالفكر الحضاري.

ويبدو أن علم الاجتماع الإسلامي تشكل مع العلامة "**بن خلدون**"رغم أنّنا لا نعتبر في مقدّمته على مصطلح علم الاجتماع ويبدو أيضا أنّ "**مالك بن نبي**"قد حدّد ملامح هذا العلم الذي نستشفّ موضوعه ومفاهيمه في مؤلفاته، حيث تساءل عن كيفيّة إعادة البناء الحضاري للعالم الإسلامي، وتوصل إلى القوم بأنّ الدّين هو الذي يسهم في عمليّة التّغيير الاجتماعي والبناء الحضاري، وذلك بتغيير صفات الإنسان وتحويله من فرد إلى شخص صانع لحضارته.

لم يكن "**مالك بن نبي**"فيلسوفا خياليّاً، بل أنّ نظرته لظاهرة تخلّف العالم الإسلامي قد استمدّها من واقعه المعاش ومن خصوصياته الثقافيّة والاجتماعية والتّاريخية...، ولم يكن "**مالك بن نبي**" سلفيّاً محافظاً ومتشدّداً، بل كان مفكّراً متفتّحاً على الفكر الإنساني حين نستشفّ بعض مفاهيم هذا الفكر في رؤيته للإصلاح الاجتماعي، إذ يتّضح لـ"**بن نبي**" – وإن عاب على الإصلاحيين– قصور منهم في التغيير لأنّهم انشغلوا بقضايا عرضيّة عن معالجة المشكلة الاجتماعية، يتّضح له أنّهم أقرب على روح النّهضة من غيرهم من دعاة الحركة الحديثة، كما يضيف إلى ذلك أنّ

تطوّر المنهج الإسلامي أفضى حتماً إلى المنهج الحركي الشّمولي الّذي يعتمد على التّغيير، وللتّغيير الحقيقي ركّز **"بن نبي"** في مشروعه على ما يأتي:

1- رغم ظهور مشروع **"مالك بن نبي"**في مرحلة غير مرحلة الحركة الإصلاحيّة لكنّه عاش مخلّفات تلك المرحلة التي لاقاها جيل المصلحين والرواد من أمثال "جمال الدّين الأفغاني"و"محمد عبده"... الخ، ورغم ذلك فإنّه يشكّل جيل التّجاوز والانتقال من الوصف إلى طرح البديل في صورة "شروط النهضة".

2- لم يكن يهدف **"مالك بن نبي"**إلى مجرّد الإصلاح بل دعا إلى تصفية السّلبيات وإعادة تركيب عناصر الحضارة "الإنسان، الزّمن، التّراب"، عكس مجرّد الإصلاح الذي يركّز على جزئيات بعينها مثل " الأفغاني"في المسألة السّياسية و"محمد عبده"في إصلاح علم الكلام ضانا أنّه السّبيل لإصلاح النّفس إذ لا يتّصل في الواقع بمشكلة النّفس إلاّ في ميدان العقيدة أو المبدأ أو المشكلة، ليس أن تُعلِّم المسلم عقيدة هو يملكها وإنّما أن يردّ إلى هذه العقيدة فاعليتها.

3- التّقييم الذي قام به **"مالك بن نبي"**لجهود رواد الإصلاح يؤدّي إلى خلق مشروع فكري يطعم تلك الأفكار ويتجاوز ما تعثّرت فيه، فمن المعقول أنّ مشروعه مختلف عن النّهج الفكري لرواد الإصلاح خاصّة عند طرحه لأسباب الضّعف الذي لحق اتّجاه النهضة العربية والتي تتمثّل في "عدم تشخيص المشكلات تشخيصاً صحيحاً".

4- تأكيد"**بن نبي**"على خروج الفكر الإسلامي في حلّ مشكلات العالم الإسلامي من الخصوصيات المحلّية ومن الذّاتية المنغلقة، إلى رحاب عالمية الدّعوة وتأكيده على قدرة الإسلام باستعادة دور الإنسان.

وفي الأخير لنا أن نقول: إذا تغيّر الوسط الاجتماعي بأن يحدث أخطر التّحويلات التربويّة في نفس الإنسان، إذ أنّ المسلم لن يقدر على إنجاز عمل مفيد إلاّ إذا تغيّر هو في نفسه من جذوره الأساسية.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

المصحف الشريف برواية ورش.

المراجع :

1. ابن نبي مالك، تأملات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، 1977.

2. ابن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، 1987.

3. ابن نبي مالك، القضايا الكبرى، ترجمة عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1991.

4. ابن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1969.

5. ابن نبي مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1969.

6. ابن نبي مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، 1986.

7. جدعان فهمي ، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشرق، الأردن، الطبعة الأولى، 1998.

8. رضا محمد رشيد ، تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1954.

9. طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الطبعة الثانية، 1992.

10.ميلاد زكي ، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية ونقدية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1994.

11.محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ، الجزء 2،دار الرشاد.

12.عبادة عبد اللطيف، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1984.

13.محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسّرة، دار القلم، القاهرة، 1965.

14.لحرش موسى ، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006.

15.السيوعي لويس معلوف، المنجد في اللغة والآداب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى،1927.

رسائل الماجستير:

- رسالة ماجستير، الثقافة عند مالك بن نبي، قراءة معرفية وإبستمولوجية، المؤسسة الوطنية للكتاب.

المواقع:

1. مسقاوي عمر كامل في تقديمه لكتاب مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، (www.google.com.fr)

2. أحمد أبو معالي نذير،نقاط تقاطع في فكر مالك بن نبي، (www.google.com.fr).

فهرس الموضوعات

المقدمة .....أ

المدخل:مفهوم الإصلاح الاجتماعي 01

الفصل الأول:مالك بنبي: الحياة و النشأة 04

المبحث الأول: حياته وتربيته وعلمه.....04

المبحث الثاني:مصادره الفكرية.....07

المبحث الثالث: أعماله.....11

– مؤلفاته.....12

– أقوال العلماء عنه.....21

الفصل الثاني:الإصلاح الاجتماعي عند مالك بن نبي 24

المبحث الأول:رؤيته للإصلاح الاجتماعي.....24

المبحث الثاني:مظاهر الإصلاح في فكره ونشاطه:.....30

–الحضارة.....31

–الثقافة.....36

–المرأة.....39

الخاتمة.....45

قائمة المراجع.....48

الملخص :

النتيجة الحتمية التي يخلص إليها مالك بن نبي بعد استقراء تاريخ الحضارات ، أنّ النّهضة الإسلامية لم تُؤْت ثمارها المرجوّة كما فعلت مجتمعات أخرى كاليابان انطلقت من نفس النقطة لا بسبب فقدان ،الوسائل ، بل بسبب فقدان الأفكار ، و لأنّ نشاط العالم الإسلامي قد طبّق في عالم النسق البشري ، و نسق الأفكار لأنّ الواقع التاريخي يبيّن أنّ مشكلة التجهيز مرتبطة بقضية الإنسان و الأفكار ، وأنّ المحصول الاجتماعي للآلات مرتبط بفعالية و سلوك الفرد الذي يستخدمها .

Le résumé

Le résultat inévitable abouti par Malek Ben nabi est que la civilisation Musulmane n' a pas donné ses résultats désirés comme d' autres sociétés l' ont fait telle que le Japon qui est parti du même point ; non à cause de l 'absence des moyens ; mais a cause de l' absence des idées Et puisque l' activité du monde musulman a été appliquée dans le monde du système humain et le système des idées parce que le fait historique montre que le problème d' équipements est relié au problème de l' être humain et les idées et que le produit sociale des machines est relié avec efficacité et au comportement de l 'individu qui les utilise

Samury

The inevitable result which Malek Ben nabi has concluded after investigating the history of civilisation is that the Islamic renaissence has not given its desired results like other societies such us Japan which started from the same point not because of the absence of means but because of the absence of ideas and since the activity of the Islamic world has been applied in the world of human system and the system of ideas because the historical fact shows that the problem of equipment is related to the problem of mankind and ideas ;and the social outcome , of machines is related with efficiency and the behaviour of the individual which uses them